

التشكلات الثقافية العربية للاستعارات السوداء من خلال النماذج الرقمية

Arab Cultural Formations of Black Metaphors through Digital Models

سعداوي حبيبة شيما¹، لعداوي نسيم²

¹ جامعة مولود معمري ، habibachaima.sadaoui@ummtto.dz

² جامعة مولود معمري ، nassima.ladaoui@ummtto.dz

مخبر الانتماء: التمثيلات الفكرية والثقافية: إبداع ، تواصل ، نقد.

الإرسال: 2024/09/11

القبول: 2024/12/02

النشر: 2024/12/15

الملخص:

تعتمد الاستعارات المعرفية بشكل كبير على التمثيلات الصورية والرمزية للدماغ البشري ، هذا ما يمنحها تداخلات مع عدة مجالات معاصرة كالبلاغة الرقمية ، والتي تتمازج وفقها إيقاعات الأدب مع التكنولوجيا الرقمية.

الاستعارات المعرفية تساهم بشكل أو بآخر في رسم أيديولوجيات ثقافية ، وتسهمها في الصميم بشكل لا واع ، يتجلى ذلك من خلال استعارات السواد في الثقافة العربية ، فهاته الاستعارات تجذرت بشكل لاواع في تصانيف الخطابات والصّور والرموز ، ممّا أعطى تجلياً موحشاً للون الأسود في الثقافة الخاصة بنا.

يؤول بنا هذا إلى تساؤل مركزي مفاده هل هذه المحاكاة الاستعارية التي هي جوهر التضخم النفسي تجعل من السواد سيئاً وكلّ ما يرتبط به شرير ولا يرقى لما هو أبيض وخير وفق الثقافة العربية.

* المؤلف المرسل.

تهدف الدراسة إلى استشفاف المنطق الثقافي العربي في رؤيته للسود ، وكيفية تصنيف الأمور انطلاقاً من النظر إلى الأسود على اعتباره سيئاً ، وكيف يؤثر هذا ايديولوجيا واجتماعياً وثقافياً.

النتائج المرجو الوصول إليها هي ، كيفية انبناء ثقافة الفرد استعارياً ، وما مدى تأثير اللاوعي الجمعي من خلال المحاكاة والتضخم النفسي في صنع بوتقة تتسبب في الانحياز لأمر أو لشخص أو للون ، دون شخص أو لون آخر.

الكلمات المفتاحية: الاستعارات السوداء ؛ البلاغة الرقمية ؛ الاستعارة المعرفية ؛ الايديولوجيا ، الثقافة.

Abstract:

"Cognitive metaphors largely depend on the brain's visual and symbolic representations, which is what allows them to intersect with various contemporary fields like digital rhetoric. In this blending, the rhythms of literature mix with digital technology. Cognitive metaphors, in subtle ways, help shape cultural ideologies and leave unconscious imprints. We can see this in the metaphors of blackness within Arab culture, where these metaphors have taken root unconsciously in discourse, imagery, and symbols, giving the color black a somewhat grim connotation in our cultural framework.

This leads us to an important question: Does this metaphorical simulation, which lies at the heart of psychological inflation, cause blackness to be viewed as evil, while associating goodness and purity with whiteness, as seen in Arab culture? The aim of the study is to explore how Arab culture perceives blackness, how things are categorized based on this view of black as negative, and the broader ideological, social, and cultural impacts of such perceptions.

The goal is to uncover how individuals' cultural metaphors are shaped and to what extent the collective unconscious, through metaphorical

simulation and psychological inflation, creates a framework that leads to biases toward certain things, people, or colors over others.

In summary, the problem, goal, and expected outcomes .

Keywords: Black metaphors; Digital rhetoric; Cognitive metaphor; Ideology; Culture."

1- مقدمة:

رَكَزَت الدَّرَاسَات الحَدِيثَةُ المَتَعَمِّقَةُ حَوْل الاستعارة على البعد الأيديولوجي والتأثير الفكري الذي يسهم بشكل مباشر في تشكيل التجارب البشرية وصياغتها ضمن النصوص والخطابات المختلفة. في هذا السياق الفكري، تعد العنصرية واحدة من أقوى القوى الفكرية المحركة خلف ما يسمى بـ "الاستعارة الإدراكية"، حيث يتم تصوير الظلام كرمز متأصل للسوء والخطر، وهو ما يؤدي إلى ظهور ما يُعرف بـ "الاستعارات السوداء".

يكمن الاشكال المركزي في أنَّ هذا التجذر اللاواعي لهاته الاستعارات يبيّن تجذرات ثقافية للتمييز والطبقية، وهذا ما يقودنا لعدة تساؤلات فرعية وهو كيفية تجلي هذه الاستعارات عند الفرد من منطلقات رقمية على اعتبار الخطاب الرقمي اليوم هو واجهة للأفراد ومنصة للتعبير عن الرأي، وكذا مدى تأصل هاته الأفكار عند الأفراد ومدى تبنيها من قبلهم على أرض الواقع.

يهدف هذا البحث إلى تقديم فرضية مبتكرة، دون رفض الطرح الأيديولوجي بالكامل، وذلك لاستكشاف هذه الاستعارات من منظور التجارب الحسية والحركية المباشرة مع الظلام. يشمل التحليل فحص نماذج رقمية تحتوي على رموز ومعالم واقعية للمجال المصدر، وذلك للتحقق من كيفية تقييم وتفسير التجارب الحسية والفيزيائية المرتبطة بالظلام، ومن ثم دراسة الاستخدامات المجازية المعقدة لهذه التعبيرات، وكيفية توظيفها واستهداف مجالات معينة بشكل دقيق.

والهدف الأساسي من هذا البحث هو التعمق في الاستعارة الإدراكية الشهيرة "الشر يكمن في الظلام"، حيث يمكن للغة والتعبيرات المجازية أن تُستغل بطرق متعددة لتعزيز الأفكار الأيديولوجية المهيمنة أو دعمها وتبريرها بشكل أكبر داخل المجتمع. من هنا، تصبح الاستعارة وسيلة قوية لبناء وترسيخ الأفكار ونقلها بفعالية، مما يترك تأثيراً كبيراً على الفهم الجمعي، وكذلك على السلوكيات والممارسات الاجتماعية والثقافية

وتعتمد هذه الدراسة بشكل أساسي على منهجيات معرفية متعددة التخصصات ، مقترنة بتحليل ثقافي نقدي عميق ، بهدف توضيح الاستشفافات المجازية ومدى تأثيرها القوي على الأيديولوجيا السائدة في كل من المجالين المصدر والمستهدف. من خلال استخدام الألفاظ المشحونة بالرموز والتعبيرات الاستعارية المعقدة ، تتمكن المؤسسات والأفراد على حد سواء من نقل وتشكيل المفاهيم السياسية والاجتماعية والثقافية ، بما في ذلك القيم والمعتقدات الراسخة.

ويبقى التساؤل المهم: كيف تتشكل هذه الأيديولوجيات؟ وما هي الآليات التي تسمح بنقل وتكوين القيم والمعتقدات والمفاهيم السياسية والثقافية من خلال هذه الاستعارات المعقدة والرمزية؟

2. فن التعبير في البيئة الرقمية:

تشير التحولات الحديثة في مجال البلاغة إلى تغيير جذري يركز بشكل أكبر على استخدام الصور البصرية والأشياء الملموسة كأدوات أساسية في التواصل وإيصال الأفكار ، مما يجعلها محورية في التأثير على الجمهور. هذه الرموز البصرية ، إلى جانب العناصر المادية الأخرى ، تحمل في طياتها معانٍ عميقة ورموزاً متعددة الطبقات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالثقافة والمجتمع المعاصر ، مما يجعلها وسيلة فعالة لنقل الأفكار المعقدة والمفاهيم الدقيقة ، والتأثير بشكل مباشر على تشكيل الرأي العام والتصورات الاجتماعية. على سبيل المثال ، ركز العديد من الباحثين على تحليل كيفية تأثير هذه الرموز البصرية في الحياة اليومية ، وكيف يمكن أن تلعب دوراً رئيسياً في نقل الرسائل غير المباشرة وتشكيل المفاهيم والتصورات بطريقة تتجاوز الأساليب التقليدية اللفظية.

وإحدى الدوافع الأساسية وراء هذا التحول هي الإدراك المتزايد بأن الصور البصرية تمتلك قوة استثنائية في التعبير عن التجارب الإنسانية العميقة والمعقدة التي يصعب أحياناً نقلها بشكل كافٍ عبر اللغة المنطوقة أو المكتوبة وحدها. فعندما يكون التعبير اللفظي عاجزاً أو محدوداً في نقل الأفكار غير التقليدية أو المتشابكة.

تتميز الصور البصرية بقدرتها الكبيرة على تقديم هذه التجارب والأفكار بطريقة أكثر تفاعلية ووضوحاً. تتجاوز الصور البصرية الحواجز اللغوية والمعرفية ، مما يسمح بنقل الأفكار والمشاعر بطرق تلامس الإدراك والمشاعر بشكل أعمق وأكثر تأثيراً من الكلمات المجردة ، وهذا ما يجعلها أداة قوية لتعزيز التواصل في مجتمعنا متعدد الثقافات والأفكار.



لطالما كان التركيز في البلاغة التقليدية موجهاً على اللغة اللفظية، متجاهلاً في كثير من الأحيان الأهمية الكبيرة التي تحملها الصور البصرية في بناء المعاني والتأثير على المتلقين بطرق عميقة وفعالة. هذا التهجّح المحدود دفع الباحثين والمفكرين إلى البحث عن إطار بلاغي جديد أكثر شمولاً، يستوعب الأشكال البصرية المتنوعة كعنصر محوري في عملية التواصل. يعكس هذا التوجه واقع العالم الحديث، حيث أصبحت وسائل التواصل متعددة الأبعاد. وزاد الاعتماد على الصور والرموز البصرية على اعتبارها أدوات قوية للتأثير ونقل الأفكار بشكل فوري.

كثيراً ما تُستخدم الصور الرقمية لتصوير الظلام والسواد كعناصر مترابطة تمثل تجربة الإنسان الحسية والنفسية فمع "الليل" ومع "حلول المساء"، يرتسم الظلام في السماء بلون أسود شامل، مما يرمز إلى الغموض والخوف الذي قد يشعر به الإنسان في مواجهة المجهول. لكن، مع ظهور التجمّج والقمر في السماء، يبدأ هذا السواد في التلاشي، ويتحول المشهد إلى رمزية جديدة؛ الضوء يصبح رمزاً للأمل، ويعبر عن التفاؤل الذي ينشأ من قلب العتمة. هذا التحول الطبيعي يعكس القدرة على التغلب على الصعوبات وتحويل الظلام إلى مصدر للنور والإلهام.

علاوة على ذلك، عندما يتعلق الأمر بالمفاهيم المجازية المعقدة، فإن التعبير اللفظي وحده قد يكون محدوداً في قدرته على إيصال الأفكار بشكل شامل. التعبيرات البصرية، على

النقيض ، تتمتع بقدرة فريدة على تصوير المفاهيم المجردة والرمزية بطرق متعددة ومتنوعة. كما أشارت الدراسات والأبحاث الحديثة ، هناك نطاق واسع من الأشكال البصرية التي يمكن استخدامها للتعبير عن المفاهيم المجازية ، مما يعزز الحاجة إلى دمج هذه الأدوات البصرية في التحليلات البلاغية لفهم أعمق وأكثر تنوعاً للأفكار والعلاقات المعنوية التي تحملها النصوص والصور على حد سواء¹

يركز التحليل السيميائي على كيفية استخدام الصور والرموز لنقل المعاني والأفكار بطريقة تتأثر بالسياق الثقافي والاجتماعي. من خلال النظرية السيميائية الاجتماعية ، تعتبر الصور البصرية انعكاساً لتفاعل معقد بين الفرد والمجتمع ، حيث تُفسر بناءً على القيم الثقافية والمعايير الاجتماعية التي ينتمي إليها المتلقي. وهذا يجعل تفسير الصور عملية متنوعة ومعقدة تختلف حسب الخلفية الثقافية ، مما يضيف طباعاً فريداً على كل تجربة بصرية.

اعتماد منهج شامل هو أمر ضروري من أجل تحليل الصور البصرية ، لأنه يأخذ بعين الاعتبار السياقات الثقافية والاجتماعية المحيطة. هذا النهج يعزز فهمنا للرموز والمعاني التي تحملها الصور ، ويكشف كيف يمكن أن تؤثر بشكل عميق على الأفراد والمجتمعات. السياق يلعب دوراً حاسماً في تشكيل دلالات الصور ، حيث قد يغير كيفية استقبال الرسالة بناءً على القيم الاجتماعية والمفاهيم الثقافية.

تعتمد الهياكل السردية ، على عرض الأحداث والتغيرات التي تحدث داخل الصورة ، مما يساعد في بناء قصة بصرية واضحة تسهل على المشاهد فهم التسلسل الزمني والعلاقات بين العناصر. هذا النوع من الهياكل يساهم في تنظيم الأحداث بصورة تجعلها قابلة للفهم والاستيعاب من قبل الجمهور ، مما يعزز تجربة المشاهدة ويوجه الانتباه إلى التفاصيل المهمة.

تستند الهياكل المفاهيمية إلى تقديم الأفكار والمفاهيم الثابتة والمجردة ، بعيداً عن التسلسل الزمني. هذه الهياكل تركز على الجوانب الدائمة والجوهرية للموضوع ، مما يوفر للمشاهدين فهماً أعمق للمعاني التي تتجاوز حدود الزمن والأحداث.

تستخدم الهياكل السردية على سبيل المثال لتقديم تسلسل للأحداث والإجراءات التي تحدث في الصورة ، مما يسهل على المشاهد متابعة تطور القصة. في المقابل ، الهياكل المفاهيمية تعرض الأفكار والقيم بطريقة ثابتة ومستقرة ، مما يتيح للمشاهدين فرصة استيعاب الرسائل الفكرية والرمزية التي تحملها الصورة.

يرى "كريس وفان ليوين" Kress, G., & van Leeuwen, T " أن الصّور البصريّة تشبه اللّغة من حيث أنّها تؤدي وظائف متعددة ، فهي لا تقتصر على تمثيل العالم الواقعي (المعنى التمثيلي)، بل تسهم أيضاً في التّفاعل مع المشاهدين (المعنى التفاعلي)، وتنظم العناصر البصرية بطريقة متناسقة (المعنى التركيبي)، مما يعزز من قدرة الصورة على إيصال الرسالة بشكل متكامل ومؤثر.²

تعتمد هذه الهياكل على طبيعة العلاقة بين العناصر والمشاركين في الصّورة. فإذا كانت الصّورة تعرض أحداثاً متتالية أو تفاعلات بين الشخصيات ، فإنها تُصنف كبنية سردية لأنها تسرد قصّة أو تصوّر عمليّة تغيير مستمرة. في المقابل ، إذا ركّزت الصّورة على تقديم أفكار أو مفاهيم ثابتة وغير مرتبطة بالزّمن ، فإنها تمثّل بنية مفاهيميّة ، حيث تركز على الجوانب الجوهرية والدائمة للمفاهيم التي قد لا تتأثر بالعوامل الزمنية أو التغيرات الظرفية. هذه الفروق تساعد في تحديد نوع الرّسائل التي تسعى الصّورة إلى إيصالها ، سواء كانت تحكي قصّة بصرية أو توصل مفاهيم عميقة ومستقرة.

1-2- التّفاعل الرمزي:

يُبنى التّفاعل الرمزيّ على أربعة عناصر أساسيّة: المسافة الاجتماعيّة ، مستوى القوّة ، طبيعة الاتّصال ، والمشاركة بين المشاهد والعناصر البصريّة في الصّورة. يتم تحديد كيفية ارتباط المشاهد بالصّورة من خلال الطريقة التي توجه بها الشخصيات أو العناصر البصريّة نظراتها نحو المشاهد ، مما يعزز الإحساس بالمشاركة أو الانفصال. المسافة الاجتماعيّة تُحدّد من خلال مدى قرب أو بعد الصّورة ، فعلى سبيل المثال ، اللقطة القريبة جدّاً تعزز الشّعور بالحميمية ، بينما اللقطة البعيدة توحى بالمسافة والانفصال. كما تلعب زاوية الكاميرا العموديّة دوراً في تحديد مستوى القوّة أو السيطرة بين العناصر ، حيث تعكس الزاوية المرتفعة نظرة سيطرة أو قوّة بينما تعكس الزاوية المنخفضة إحساساً بالضعف أو الخضوع. أما زاوية الكاميرا الأفقيّة ، سواء كانت أماميّة أو جانبيّة ، فهي تحدّد مستوى المشاركة بين المشاهد وما يحدث في الصّورة.

2-2- التّنظيم البصري:

يجمع التّنظيم البصري بين المعاني السردية والتفاعلية في صورة متكاملة ، من خلال ثلاثة عناصر مترابطة: ترتيب المعلومات ، بروز العناصر ، وكيفية التأطير. ترتيب المعلومات

يعكس كيفية تنظيم العناصر داخل الصورة ، بما يحدد مدى أهميتها أو أولويتها. بروز العناصر يعتمد على حجمها ، ألوانها ، أو موقعها داخل الصورة ، حيث تكون العناصر الأكثر بروزاً هي تلك التي تلتقط انتباه المشاهد أولاً. التأطير يهتم بكيفية تحديد حدود العناصر داخل الصورة ، سواء كانت معزولة داخل إطار محدد أو متداخلة مع عناصر أخرى ، مما يخلق علاقة واضحة أو متشابكة بينها.³

تحدد أهمية المعلومات البصرية بناءً على موضع وتوزيع العناصر في الصورة. فعلى سبيل المثال ، موقع العنصر سواء كان في الأعلى أو الأسفل ، أو مائلاً نحو اليمين أو اليسار ، يلعب دوراً كبيراً في توجيه انتباه المشاهد. العناصر التي توضع في مواقع بارزة ، عادةً ما تكون أكثر قدرة على لفت الأنظار ، مما يجعلها عناصر أساسية في نقل الرسالة البصرية وتشكيل فهم المتلقي لمحتوى الصورة. توزيع هذه العناصر بشكل متعمد يساهم في توجيه المشاهد نحو النقاط الأكثر أهمية في الصورة.

أما بروز العناصر ، فيتأثر بعدة عوامل ، بما في ذلك حجم العنصر داخل الإطار ، وضوحه بالنسبة للعناصر الأخرى ، وتباين ألوانه مقارنة بالخلفية المحيطة. العناصر التي تتمتع بحجم أكبر أو وضوح أكبر أو ألوان زاهية ومتناقضة مع الخلفية ، تكون أكثر بروزاً وتجذب الانتباه بسرعة. من خلال التحكم في هذه الخصائص ، يمكن توجيه انتباه المشاهد نحو أجزاء معينة من الصورة وجعلها النقطة المحورية في المشهد.

فيما يتعلق بـ التأطير ، يتناول هذا الجانب كيفية ترتيب العناصر البصرية داخل الصورة وربطها ببعضها البعض لخلق روابط واضحة أو ضمنية بين هذه العناصر. تأطير العناصر وتنظيمها ضمن الإطار يمكن أن يؤثر على طريقة تفسير المشاهد للعلاقات بينها. هذا التنظيم البصري يساعد في إنشاء استراتيجيات استعارة بصرية ، حيث يعكس التأطير كيفية إدراك المشاهد للمعاني التي تحملها العناصر المتواجدة في الصورة ، ويساهم في خلق استعارات بصرية تعزز الرسالة المراد توصيلها.

3-2- البنى المفاهيمية:

وضع "لاكوف وجونسون" "Lakoff, G., & Johnson" ، بأن المفاهيم تُفهم غالباً عبر مقارنتها بمفاهيم أخرى. فعندما نحاول فهم مفهوم "أ" من خلال تشبيهه أو استعارته بمفهوم "ب" ، يتم إنشاء استعارة مفاهيمية تُعرف بعبارة "أ يُفهم على أنه ب". في هذه الاستعارة ،

يُطلق على "أ" المجال الهدف الذي نحاول تفسيره ، بينما يُعتبر "ب" المجال المصدر الذي نستخدمه لفهم "أ".

ضمن إطار نظرية الاستعارة المعرفية ، هناك نوعان رئيسيان من الاستعارات. الأول هو الاستعارات التقليدية ، التي تتكرر في اللغة بشكل متكرر حتى تصبح جزءاً لا يتجزأ من الفكر والثقافة العامة ، مما يجعلها أداة فعالة لتسهيل الفهم اليومي. والنوع الآخر هو الاستعارات المبدعة ، التي تُستخدم بشكل مبتكر لتوضيح مفاهيم جديدة أو غير مألوفة ، مما يخلق تفاعلاً أعمق بين المتلقي والرسالة ويساهم في توسيع آفاق الفهم بطرق غير تقليدية⁴. أو غير نشطة ونشطة⁵، الاستعارات التقليدية هي تلك التي تبني المفاهيم العادية لنظام ثقافتنا ، في حين أن الاستعارات الإبداعية هي تلك التي تمنحنا فهماً جديداً لتجربتنا⁶.

تُعتبر الاستعارات الإبداعية وسيلة فعالة لتحقيق الفهم من خلال ما يعرف بعملية التدجين. في هذه العملية ، يتم أخذ الأفكار المجردة ، أو الأشخاص والأحداث غير المألوفة ، وتحويلها إلى شيء مألوف وقريب من التجربة اليومية للمتلقي. هذه الاستعارات تعمل على سدّ الفجوة بين المفاهيم الجديدة أو المعقدة وبين الأفكار البسيطة المألوفة ، مما يسهل على المتلقي فهم الرسالة المعقدة بطريقة أكثر وضوحاً.

باستعمال التدجين ، تصبح الأفكار غير المفهومة أو البعيدة أكثر وضوحاً وقابلة للفهم ، حيث يتم تقريبها إلى مفاهيم وعناصر ملموسة يشعر المتلقي بالارتباط بها. هذه العملية تلعب دوراً كبيراً في تعزيز التواصل وجعل الأفكار المعقدة أكثر بساطة وقرباً إلى العقل. على سبيل المثال ، يمكن أن تُستخدم استعارات إبداعية في توصيل الأفكار العلمية أو الفلسفية ، عبر تحويلها إلى تصورات ملموسة تستند إلى الحياة اليومية أو التجارب الشخصية ، مما يجعل من السهل على الأفراد فهمها واستيعابها بشكل أعمق تساعد الاستعارات الإبداعية والتدجين في نقل الأفكار بطرق فعالة ، مما يساهم في بناء جسور بين المفاهيم المعقدة والمتلقين ، ويعزز قدرة الرسالة على التأثير والإلهام.⁷

يمكن أن تكون الاستعارات الإبداعية سيفاً ذو حدين ، حيث قد تؤدي أحياناً إلى تشويه المجال المستهدف لأغراض بلاغية أو جمالية ، خاصة في مجالات مثل الشعر والفن. ففي حين أن هذه الاستعارات تهدف إلى تقريب المفاهيم المجردة من المتلقي ، فإنها قد تخلق صورة مشوهة أو مضللة حول الفكرة الأصلية. هذا التشويه قد يكون متعمداً لأغراض فنية أو

جمالية، إذ يتم استخدام الاستعارة لإضفاء طابع فني أو تزييني على الفكرة، مما قد يتعد عن المعنى الحقيقي أو العمق الأصلي للمفهوم المستهدف.

وفي الصور المرئية، يتم عادةً استبدال المفاهيم المجردة بعناصر ملموسة، حيث يكون كل من المجال الهدف ومصدر الاستعارة عبارة عن أشياء ملموسة. في هذه الحالة، يمكن للصور البصرية أن تعكس استعارات ملموسة بوضوح، حيث يتم تمثيل الأفكار والمفاهيم من خلال صور مرئية قد تبدو واقعية ولكنها تحمل معنىً رمزيًا أعمق. الاستعارة الملموسة تأخذ شكلًا محسوسًا، بحيث يستطيع المشاهد ربطها بتجارب حياتية ملموسة، ما يسهل فهم الرسالة البصرية بشكل مباشر.

وعلى الرغم من أن الاستعارات الإبداعية يمكن أن تضيف قيمة فنية وجمالية كبيرة، إلا أنها قد تنحرف أحيانًا عن المعنى الأصلي، مما يجعل الرسالة أقل وضوحًا. هذا يبرز أهمية التوازن بين الإبداع والوضوح عند استخدام الاستعارات، خاصةً في السياقات التي تتطلب دقة في توصيل الفكرة.⁸ أمثلة فورسفيل Forceville غالبًا ما تنتمي إلى هذا النوع من الاستعارات البصرية الإبداعية التي تربط بين أشياء قد تبدو غير مترابطة للوهلة الأولى، مثل تصوير الحذاء على أنه ربطة عنق، أو الفشار باعتباره نبيذًا، أو كرسيّ سطح السفينة كرمز لشيء آخر. هذه الأمثلة تعكس قوة الاستعارة البصرية في دمج الأشياء المألوفة مع الغريبة، مما يخلق تفاعلًا جديدًا بين المفاهيم. ومع ذلك، يمكن أيضًا استخدام الاستعارات لتمثيل المفاهيم المجردة بشكل مجازي في الصور المرئية، حيث يكون الإدراك البصري لكل من التغريب والتدجين جزءًا من تحقيق هذه الاستعارات البصرية في التواصل البصري.

يعتمد التمثيل البصري في هذا السياق على تحويل الأفكار المجردة إلى أشكال ملموسة يمكن للمشاهد إدراكها وتفسيرها. من خلال هذه الاستعارات، يمكن تحقيق مستويات متعددة من الفهم، حيث يتم تقديم المفاهيم المجردة بطرق تجعلها مألوفة أو مفارقة للمتلقي.

وفقًا لفورسفيل Forceville، يمكن تقسيم الاستعارات البصرية لثلاثة أنواع رئيسية من حيث التمثيل البصري، حيث يقوم كل نوع منها بتوظيف علاقة مختلفة بين العناصر في الصورة والمفاهيم التي ترمز إليها. هذه الأنواع تشمل الاستعارات التي تعتمد على التشابه الحسي المباشر بين الأشياء، أو التي تستخدم التجريد والتضاد بين العناصر، أو تلك التي

تعتمد على تجسيد الأفكار غير الملموسة في أشياء ملموسة ومعروفة للمشاهد. في بعض الاستعارات البصرية، يمكن أن يكون حضور أحد المجالين فقط، إما المجال المصدر أو المجال الهدف، هو السائد في الصورة، بينما يظل المجال الآخر ضمنيًا أو غير مرئي. في هذا النوع من الاستعارات، يتم التركيز على عنصر واحد، سواء كان المصدر الذي يُستخدم لتمثيل المفهوم، أو الهدف الذي يمثل الفكرة المجردة أو الموضوع الذي يتم تناوله.

على سبيل المثال، في حالة استعارة تعتمد فقط على المجال المصدر، قد يتم تصوير شيء ملموس أو مألوف بوضوح، بينما يتم ترك المجال الهدف (الفكرة المجردة أو المفهوم الأساسي) لتفسير المشاهد دون تمثيله بشكل صريح. هذا النوع من الاستعارة يعتمد على قدرة المشاهد على الربط بين العنصر المرئي والمفهوم الذي يرمز إليه.

أما في حالة حضور المجال الهدف فقط، فقد يتم تصوير المفهوم المجرد بشكل مباشر في الصورة، بينما تُترك الروابط بينه وبين الأشياء الملموسة (المجال المصدر) غير مرئية، مما يتطلب من المشاهد أن يستنتج المعنى من خلال السياق أو الإشارات الرمزية. بالتالي، يمكن أن تكون هذه الاستعارات غنية بالتفسير وتفتح المجال لخيال المشاهد لتكوين روابط بين ما يُعرض بشكل ملموس وما يُترك للخيال والتأمل. عندما يكون المجال المصدر والمجال الهدف موجودين ومتكاملين في الاستعارة البصرية، يتم دمج العنصرين بطريقة تنسج بينهما بشكل متناغم، حيث يعمل كل منهما على دعم وتوضيح الآخر. في هذه الحالة، يُظهر المجال المصدر الشيء أو المفهوم المألوف الذي يستخدم لتفسير أو تجسيد المجال الهدف، الذي غالبًا ما يكون فكرة مجردة أو معقدة.

في مثل هذه الاستعارات البصرية، يكون لكل من المصدر والهدف وجود مرئي أو ملموس في الصورة، ويتم تقديمهما بطريقة تجعل المشاهد يدرك العلاقة بينهما بوضوح. على سبيل المثال، يمكن أن يكون المجال المصدر شيئًا مألوفًا مثل شجرة، في حين أن المجال الهدف قد يمثل النمو الشخصي أو الحياة. الشجرة (المصدر) تمثل صورة ملموسة تفسر المجال الهدف، مما يجعل الرسالة أكثر وضوحًا وفهمًا للمشاهد.

هذه التكاملية بين المجالين تساعد في توجيه المشاهد نحو التفسير المقصود، حيث يعتمد الفهم على التفاعل بين العنصرين. المجال المصدر يقدم الصورة المادية أو الملموسة التي تعبر عن شيء أكبر أو أكثر تجريديًا، بينما المجال الهدف يستمد وضوحه ومعناه من

خلال تمثيله بواسطة المصدر. في النهاية، يؤدي هذا التكامل إلى إثراء الرسالة البصرية وتوسيع إمكانيات الفهم والاستيعاب لدى المشاهد. المجاز البصري، حيث يتقابل المجال المصدر والمجال المستهدف، يعتمد على التفاعل بين العناصر المكانية التي تربط بين "الموضوع الاستعاري" و"السياق البصري". في هذا النوع من الاستعارات، يكون الموضوع الاستعاري عادة هو المجال المستهدف، وهو الموضوع الرئيسي الذي تحاول الصورة البصرية التعبير عنه، بينما يشكل السياق البصري البيئة أو الإطار الذي يتم فيه تمثيل هذا المفهوم.

وفقاً للمنظور السيميائي الاجتماعي، ينتمي كل من "الموضوع الاستعاري" و"السياق البصري" إلى وحدة لغوية موحدة ضمن الهيكل التمثيلي للصورة. بمعنى آخر، فإن العناصر البصرية، سواء كانت تمثل المصدر أو الهدف، ترتبط ببعضها البعض في إطار بناء تمثيلي متكامل، مما يتيح للمشاهد فهم العلاقات بينهما وتفسير المعاني المستمدة من تلك العلاقات.

بالإضافة إلى المعنى التمثيلي الذي تحمله الصور البصرية من خلال المجاز، فإنها تحمل أيضاً معاني تفاعلية وتركيبية. هذه المعاني التفاعلية ترتبط بكيفية تفاعل المشاهد مع العناصر البصرية، سواء من حيث قربها أو بعده منها، ومن حيث الزوايا التي تُعرض بها تلك العناصر. المعاني التركيبية تتعلق بكيفية تنظيم العناصر داخل الإطار البصري، حيث يتم ترتيبها وتنسيقها بطريقة تعزز الفهم وتوجه انتباه المشاهد إلى نقاط معينة.

هذه الموارد البصرية مجتمعة توفر إمكانيات هائلة لتصوير المفاهيم المجردة، حيث يتم استخدام المجاز البصري لتقديم الأفكار المعقدة أو غير الملموسة بطريقة يمكن للمشاهد ربطها بالتجارب الحسية اليومية. هذا الدمج بين العناصر المكانية والتمثيلية يعزز القدرة على توصيل الأفكار بشكل فعال من خلال الصور، مما يفتح الباب لتفسيرات متعددة تعتمد على كيفية استيعاب المشاهد للعلاقات البصرية الموجودة في الصورة.⁹

3- تجليات الاستعارات الظلامية رقمياً:

يرمز الظلام في أغلب الحضارات والأساطير والثقافات إلى السوء والشر، وفقاً للأساطير الإغريقية أنجب خاؤس "نوكس" Knox (الليل الحالك) وأنجب "ايريبيوس" Erebus الظلام العميق الدّامس حيث يسكن الموت، أنجب خاؤس نوكس وأيريبيوس بطريقة ما لا يستطيع

أن يتخيلها البشر¹⁰، وأيريوس هو تجسيد للظلام، ويتجلى حتى في ظلام الشقوق والكهوف، والعالم السفلي، وقد عمل كلا من أيريوس ونيكس على جلب الظلام للعالم.

كما قد يرتبط الظلام في الديانات بالظلال، والخروج عن الطريق المستقيم، والحياد عما يخطه طريق الله من نور، ويرتبط في الأدب إلى الأمور السيئة والمبهمة، فكل ما يختلج النفس، ولا تبوح به غالباً ما يعتبر مظلماً، كما أنه يرسم في الأساطير الشعبية على اعتباره القوى الشريرة التي تود أن تخدم الضوء والنور، وترتبط غالباً بالظلام ويتجلى ذلك في السينما والمسرحيات والحكايات وغيرها.

تجلى هذه التظاهرات للظلام في النموذج الرقمي والثقافة العربية من خلال:

1-3- الظلام شر:

غالباً ما يُستخدم الظلام في العديد من الثقافات كرمز للشر أو الخطر. فهو يمثل الغموض والعجز عن الرؤية الواضحة، مما يجعله مرتبطاً بالخوف والتردد. يتم تصوير الظلام كحاجز يمنع الحركة، ويُعتبر بيئة تشكل خطراً موضوعياً ومرتباً للقلق النفسي. في هذا السياق، يرتبط الظلام أيضاً بمفهوم العمى، حيث يُنظر إليه على أنه فقدان للبصيرة أو القدرة على رؤية الأمور بوضوح.



اللغويات المعرفية تسلط الضوء على الدور الذي تلعبه التجربة الإنسانية في بناء المعاني، وتعتبر الجسد جزءاً مركزياً في هذه العملية. فالتفاعل الحسي والبدني مع الظلام، مثل الشعور بالعجز عن الرؤية أو الخوف من المجهول، يساهم في تشكيل المعاني المجازية المرتبطة بالظلام. في هذا السياق، يتم استخدام الظلام كاستعارة للتعبير عن الشر والخوف والجهل، حيث ترتبط التجربة الجسدية والإنسانية مع مفاهيم نفسية واجتماعية أعمق، مما يجعل من السهل استيعاب الفكرة المجردة عن طريق ربطها بتجارب حياتية ملموسة.

يقول لايكوف وجونسون في كتابهما "الفلسفة في الجسد" إن الفكرة التقليدية التي اعتبرت العقل منفصلاً عن الجسد هي فكرة خاطئة. على عكس ما اعتقدت الفلسفات التقليدية لفترة طويلة، يؤكد الكاتبان أن العقل ينشأ من طبيعة أدمغتنا وأجسادنا، ومن تجربتنا الجسدية. ولا يعبران بذلك عن الفكرة البديهية التي تقول إن العقل يعتمد على وجود الجسد فقط، بل يشيران إلى فكرة أعمق وأكثر تعقيداً: أن بنية العقل ذاتها تُشكل بواسطة تفاصيل تجسدها، بمعنى أن الآليات العصبية والمعرفية التي تُمكننا من الإدراك والحركة هي نفسها التي تُنشئ أنساقنا التصورية وتحدد طريقة تفكيرنا.

بالتالي، إذا أردنا فهم العقل البشري بشكل صحيح، علينا أن ندرس تفاصيل الأنظمة البصرية والحركية لدينا، وكذلك فهم الآليات العصبية التي تتيح لنا تكوين المفاهيم والتصورات. لا يمكن فصل العقل عن الجسد، بل إنه يتشكل بطرق حاسمة من خلال خصوصيات أجسادنا البشرية، والبنية العصبية الدقيقة في أدمغتنا، بالإضافة إلى التجارب اليومية التي نمر بها في تفاعلنا مع العالم من حولنا.

في النهاية، يرى لايكوف وجونسون أن العقل ليس كياناً متعالياً أو مستقلاً عن الجسد، بل إنه مرتبط بشكل وثيق بالجسد ويُعاد تشكيله باستمرار من خلال التفاصيل الجسدية والعصبية التي تحدد كيفية عملنا وتفاعلنا مع العالم المادي.¹¹ بعض البالغين الذين يشعرون بعدم الراحة في مواجهة الظلام. هذا الشعور بعدم الأمان والانزعاج في الظلام ينبع من تأثيره على حواسنا، حيث يعيق البصر ويجعل الحركة أكثر تعقيداً، كما يعطل قدرتنا على التعرف على الأشخاص والأشياء والألوان. فالظلام يُحدث نوعاً من الغموض والعجز عن رؤية التفاصيل بشكل واضح، مما يؤدي إلى الشعور بالضعف وحتى الخوف.

وبالعودة إلى الرمزية الاستعارية المرتبطة بالظلام في الصورة الرقمية، يتضح أنّ الظلام يُستخدم كرمز مجازي يشير إلى الشرّ أو الخطر الذي قد يواجهه الإنسان في لحظات انعدام الرؤية. يرتبط هذا المفهوم أيضاً بالمعاني الدينية، كما في الآية القرآنية الثالثة من سورة الفلق: ﴿مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [سورة الفلق، الآية 3]، حيث يشير الغسق إلى حلول الظلام أو الليل العميق، وهو وقت يُربط فيه الشر بالغموض والخطر.

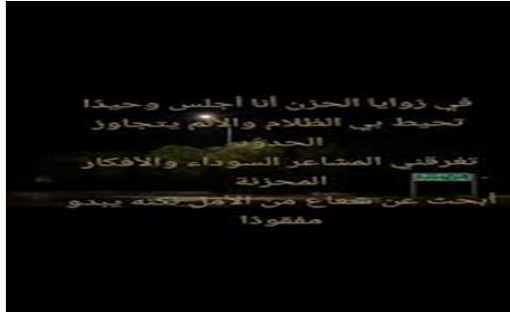
في هذا السياق، تصبح الصور الرقمية التي تصوّر الظلام أكثر من مجرد عرض بصري، بل تحمل رمزية استعارية تشير إلى مفاهيم الخوف والخطر وانعدام الرؤية الواضحة. هذا النوع من الاستعارات يستخدم للتجارب الإنسانية الحسية للتعبير عن مشاعر أكثر تجريداً، مما يعزز فهم المشاهد لمعنى الظلام في السياقات المختلفة، سواء كانت جسدية أو نفسية أو حتى روحية في تفسير ابن كثير للآية الكريمة: ﴿مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [سورة الفلق، الآية 3]، أورد عدة أقوال عن العلماء والمفسرين حول معنى "الغاسق" و"إذا وقب". قال مجاهد إن الغاسق هو الليل، و"إذا وقب" تعني غروب الشمس، وهذا القول هو ما حكاه البخاري عن ابن عباس والضحاك. كما ذكر أن الحسن وقتادة قالاً إن الغاسق يشير إلى الليل إذا جاء بظلامه، بينما قال الزهري إن الغاسق هو الشمس عندما تغرب¹².

تتفق هذه التفسيرات على أنّ "الغاسق" يشير إلى حلول الظلام، سواء كان ذلك بسبب غروب الشمس أو دخول الليل بظلامه الشديد. ويتعلق المعنى العام للآية بالتحذير من الشرّ الذي قد يحدث في الليل، حيث يرتبط الظلام بعدم الأمان والمخاطر الخفية.

فهنا ارتسمت استعارة الظلام شر، بشكل جلي من خلال الآية وهو ما تبرزه الصورة

2-3- الظلام غياب أمل:

يمكن أن يفهم الظلام بشكل أعمق من مجرد كونه ظاهرة فيزيائية مرتبطة بغياب الضوء. فهو قد يمتد ليشمل الجانب النفسي والمعنوي، حيث يمكن أن يُعبر عن حالة من غياب الأمل أو فقدان الروحي والعاطفي. في هذا السياق، يصبح الظلام رمزاً لفترات من اليأس أو الشعور بالضيق الداخلي، حيث يفقد الإنسان الثقة والإيمان بالأمور الإيجابية، ويتلاشى أمامه الأمل في العثور على الحلول أو الاستقرار. تعكس الصور الرمزية التي تصور الظلام في هذه الحالة رمزية نسقية، تشير إلى الظلام باعتباره تجسيداً لحالة انعدام الأمل والشعور بالعجز أمام تحديات الحياة.

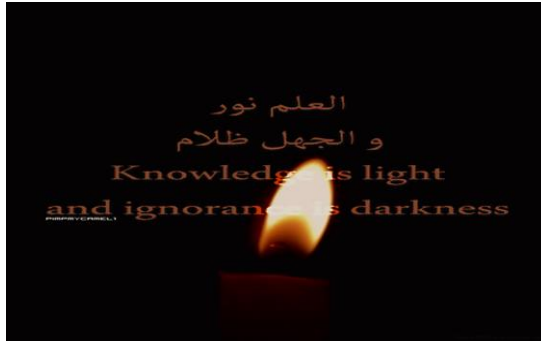


يمكن أن يكون الظلام في هذا الإطار ، تجربة شخصية يعيشها الفرد على المستوى النفسي أو العاطفي. عندما يمر الشخص بصعوبات حياتية مثل الأزمات النفسية أو المشاكل العاطفية ، يشعر وكأنه في حالة ظلام داخلي ، حيث يصبح المستقبل غامضاً ومليئاً بالشكوك. في مثل هذه الأوقات ، يكون البحث عن الضوء والأمل هو المفتاح الذي قد يساعد الشخص على الخروج من هذه الحالة ، وإعادة بناء تفاؤله ونظرته الإيجابية للحياة.

إذن ، الظلام ليس فقط غياب الضوء الفيزيائي ، بل يمكن أن يعبر عن فترات من اليأس ، ويصبح البحث عن التور ، سواء كان ذلك روحياً أو عاطفياً ، وسيلة لإعادة اكتشاف الذات والخروج من الأزمات الشخصية. هذا المفهوم الأوسع للظلام يجسد كيف يمكن للرمزية البصرية أن تنقل معاني أعمق تتعلق بالخبرات الإنسانية والتجارب الفردية

3-3- الظلام جهل:

ترتبط هذه الاستعارة بمجموعة متنوعة من الاستعارات الأخرى ، مثل الجهل وعدم وجود المعرفة والعمى ، التي تعدّ نقيضاً لاستعارة "المعرفة هي رؤية". يعتبر هذا التمثيل المضاد تعبيراً عن الفجوة بين المعرفة و اللامعرفة ، حيث يُستخدم العمى كرمز لفقدان الإدراك أو الفهم. لقد تمّ تحديد هذا الإسقاط لتجاربنا الحسية الحركية على المجال المجرد للمعرفة بواسطة الباحث جرادي ، الذي تعامل مع استعارة "المعرفة هي رؤية" باعتبارها استعارة أولية



وفقاً لهذا المنظور، يُعدّ الدافع التجريبي لاستعارة "المعرفة هي رؤية" نابغاً من العلاقة المباشرة بين الإدراك الحسيّ والبصر والوعي بالمعلومات. أي أن الحكم الذاتي الذي نتخذه حول المعرفة يعتمد على تجربتنا الحسية مع الرؤية. عندما ندرك شيئاً بعيوننا، نعتبر ذلك معرفة فعلية، وهذا الارتباط الحسي بين البصر والمعرفة هو ما يشكل الأساس لهذه الاستعارة.

بالتالي، المعرفة تُصوّر دائماً على أنها إضاءة أو رؤية واضحة، حيث يعكس البصر الوعي والقدرة على فهم الأمور. وفي المقابل، يرتبط الجهل أو عدم المعرفة بالظلام أو العمى، مما يعبر عن غياب الإدراك والفهم¹³

4- الاستعارات السوداء:

المعنى الرمزي للون الأسود غالباً ما يرتبط بالظلام، ويُستخدم عادةً لنقل دلالات سلبية عميقة. في أغلب الأحيان، يُنظر إلى اللون الأسود على أنه يمثل شيئاً غامضاً أو مخيفاً، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بانعدام الضوء، سواء كان ذلك في ظلمة الليل أو في الأجواء الكئيبة خلال الأيام الغائمة. هذا الغياب للضوء يثير ردود فعل نفسية وجسدية قوية، مثل الشعور بالرهبة والتوتر، مما يعكس التأثير العاطفي العميق الذي يمكن أن يسببه اللون الأسود.

الظلام، باعتباره افتقاراً للضوء، يُعزز الإحساس بالخوف والرعب. عندما لا يتمكن الشخص من رؤية ما يحيط به بوضوح، يشعر بعدم الأمان والتهديد. هذه المشاعر السلبية تتولد بشكل أساسي من القلق حيال المجهول، وهو ما يؤدي إلى حالة من التوتر والانزعاج النفسي.

لذلك ، فإن التصورات السلبية المرتبطة باللون الأسود تنبع من التجارب الحسية المرتبطة بالظلام ، والتي غالبًا ما تستدعي إحساسًا بالخوف وعدم اليقين.

الاستخدام الرمزي للون الأسود ينبع من التأثير النفسي العميق الذي يُثيره الظلام. وبما أن الظلام عادة ما يرتبط بالخطر أو المجهول المخيف ، يُستخدم اللون الأسود كرمز للتعبير عن الشر والمخاطر. عندما يظهر اللون الأسود في السياقات المجازية ، فإنه يُحمل دائمًا بمعاني سلبية قوية ، حيث يُجسد الخوف ، التهديد ، والاضطراب النفسي الذي يُثيره عدم اليقين والخوف من الأحداث غير المعروفة أو الخطرة.

1-4- القلب الأسود:

يرمز "القلب الأسود" إلى دلالة قوية ومكثفة ترتبط بالشر والخبث والنوايا السيئة. يعود هذا المعنى إلى التاريخ والثقافة التي ربطت اللون الأسود بكل ما هو مظلم وفاسد من الناحية الأخلاقية. الأسود هنا يمثل نقيض النقاء ، ويُستخدم كأداة لغوية للتعبير عن التناقض الواضح بين الخير والشر. تعتمد اللغة على هذا التناقض لإيصال رسائل تحمل في طياتها استجابات عاطفية عميقة.



يرمز "القلب الأسود" إلى دلالة قوية ومكثفة ترتبط بالشر والخبث والنوايا السيئة. يعود هذا المعنى إلى التاريخ والثقافة التي ربطت اللون الأسود بكل ما هو مظلم وفاسد من الناحية

الأخلاقية. الأسود هنا يمثل نقيض النقاء، ويُستخدم كأداة لغوية للتعبير عن التناقض الواضح بين الخير والشر. تعتمد اللغة على هذا التناقض لإيصال رسائل تحمل في طياتها استجابات عاطفية عميقة.

وعندما نستخدم مجاز "القلب الأسود" إلى جانب تعبيرات أخرى تشير إلى "الشر"، فإن ذلك يعزز من الصورة السلبية ويعمق الفهم الدلالي. في الأدب، يُستخدم تعبير "القلب الأسود" للإشارة إلى شخصية شريرة أو فرد يحمل نوايا خبيثة، مما يعكس ارتباط اللون الأسود بما هو فاسد وظالم. هذا المجاز يُظهر كيف أن القلب، الذي عادة ما يرمز للحب والطيبة، قد يتحول إلى رمز للشر والقسوة عند اقترانه بالأسود.

على سبيل المثال، نجد أن استعارة "القلب الأسود" تتكرر كثيراً بجانب تعبيرات أخرى تعزز معناها. في بعض الأعمال الأدبية، نجد دمجاً بين استعارات مرتبطة باللون الأسود لتوضيح الشر المطلق. هنا، يُصور "القلب الأسود" على أنه يجسد شخصية خبيثة، تعبر عن تصرفات غير أخلاقية وخطيرة، مما يجعل هذا المجاز يبرز الشر المتأصل في الشخص.

وفي نصوص أخرى، يمكن أن نجد تعبيرات مثل "الاعوجاج" ترتبط بـ "القلب الأسود الشرير"، مما يخلق استعارة جديدة تُضاف إلى السياق المجازي. هذه الاستعارة تعمق من المفهوم السلبي وتُضفي طبقات من المعاني السلبية، حيث يُصور "القلب الأسود الشرير" كشخصية مهلوة بالشر والخداع.

في كل هذه الأمثلة، يُستخدم اللون الأسود كأداة لتمثيل مفاهيم مثل الخبث، الشر، والأذى، مما يجعله رمزاً قوياً في السياقات المجازية، ويُعزز من التأثير السلبي الذي يُراد إيصاله.

4-2- القط الأسود:



تشير العبارة المكتوبة على الصورة " كيف يتحوّل القط الأسود الى جن " إلى الاعتقاد الراسخ في بعض الثقافات بأن القط الأسود يرتبط بالسّحر أو الشعوذة أو الممارسات الخارقة للطبيعة. في بعض المجتمعات ، يُعتقد أن رؤية القطّ الأسود قد تُعد إشارة إلى قوى غامضة أو أحداث غير طبيعية قد تحدث في المستقبل. هذا الاعتقاد يعود إلى الأساطير القديمة والخرافات الشعبية التي ترسخت على مر العصور ، وتفاوتت تفسيراته ومعانيه بين الثقافات المختلفة. علاوةً على ذلك ، يُعد القط الأسود رمزًا لسوء الحظ أو اللعنات في تفسيرات الأحلام أو الرؤى في كثير من التقاليد.

3-4- الغراب الأسود:



يُفَدِّمُ القرآن الكريم قصة الاتصال الأول بين الإنسان والغرباء على أنها قصة الشؤم والفقد والجريمة والفساد ، فبعد قتل قابيل أخاه هابيل ولم يدري ما يصنع بجثته ، بعث الله غرابان يقتتلان ثم دفن الغراب القاتل الغراب المقتول ، قال تعالى ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (30) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ (31) [سورة المائدة الآية 30-31] ورغم أننا لا ندري أكانت لقابيل والبشر معرفة مسبقة بالغربان ام انها هذه المرة الأولى التي يرى فيها إنسان غراباً فإن هذه القصة التي يوردها القرآن والتوراة ، تقدم الغراب كحامل للشؤم ونذير للشر ومصدرا للفساد يقول الألوسي في كتابه "روح المعاني": «والحكمة كونه المبعوث دون غيره من الحيوان كونه يتشاءم به في الفراق والإغتراب وذلك مناسب لهذه القصة»¹⁴ ، فيذهب الألوسي إلى القول بأن تشاؤم الناس بالغراب هو الحكمة في أن الله اختاره لبيعته إلى ولد آدم ، لكننا نقول أن الوضع في حقيقته معكوس ، فالتشاؤم بالغراب هو نتيجة لدوره في هذه القصة وليس العكس ، يقول "ابن عاشور" في "التحرير والتنوير» وكأنَّ اختيار الغراب لهذا العمل إما لأن الدفن حيلة في الغربان من قبل ، وإما لأن الله اختاره لذلك لمناسبة ما يعتري الناظر إلى سواد لونه من الانقباض بما للأسيف الخاسر من انقباض النفس. ولعل هذا هو الأصل في تشاؤم العرب

بالغراب»¹⁵، فهذه القصة ربما تكون السبب وراء ترسيخ فكرة التشاؤم بالغربان في التراث الثقافي الإنساني خاصة عند أتباع الديانات السماوية الثلاثة.

حيث يُنظر إلى الغراب "في الثقافة العربية" على أنه نذير سوء ويقترن بكل مكروه تتبرم النفس منه ولعل هذا التصور هو الذي جعلهم يشتقون اسمه من العُربَة والغَرَابَة، الدالين على ما لا يؤلف ولا يطمأن إليه، إذ يجمع الغراب إلى قبح الصورة سواد اللون الذي هو دلالة على كل ما هو مظلم ومجهول ومخيف، ولذلك فقد اجتمعت مضامين التراث القصصي والأسطوري حول هذا المخلوق والدلالة اللغوية لاسمه والاثّر النفسي لصورته، لتعزيز فكرة التشاؤم به وفقاً للتقاليد الثقافة العربية القديمة خاصة في لتفسير الأحلام، أين يرمز الغراب إلى سوء الحظ والطالع والشخص الذي يحلم بغراب يتعرض للخسارة. في أغلب الأحيان، يمكن تفسير الغراب في الأحلام على أنه نذير بأخبار سيئة أو بشرى سيئة. يقال أيضاً في بعض التفسيرات أنه إذا رأى شخص ما غراباً يتحدث، فقد يعني ذلك أنه سيولد طفل عاص أو فاسد.

تجلى هذه الصورة التي تنسجها المعتقدات الثقافية والدينية حول الغراب في النموذج الرقمي أعلاه. إذ يحضر هذا الطائر في الأساطير العربية، نذيراً للموت وحاملاً للحزن. أين يُعتقد بأن الغربان تجلب الأخبار السيئة والرثاء في كل مكان، ومثال ذلك في الأدب العربي مصطلح: "غراب البين" المستعمل في الأدبيات العربية على وجه التحديد للإشارة إلى الغراب الذي يجلب الانفصال مع الموت. يتم التعبير عن هذا الغراب عمومًا عند الفراق أو الخسارة وغالبًا ما يوجد في القصائد التي تحتوي على عناصر الموت أو الفراق عن الأحباء.

وصورة الغراب متأصلة في الوعي الشعبي لأنها تجلب البلاء وتزيد الخوف والتشاؤم. في الفولكلور، يُعتقد أن الغربان مرتبطة بالعالم السفلي أو قوى الشر. ويساهم لونه الأسود وصوته القاسي في تعزيز صورته السلبية، حيث يعتبر رمزاً للظلام والشر ويعتقد به لارتباطه بالموت في الأساطير الشعبية. تتجمع الغربان في مواقع الجثث أو في المعارك بحثاً عن الجيفة، وهو سلوك فطري يعزز صورتها السلبية المرتبطة بالموت والفقد في بعض القصص الدينية الإسلامية. تم ذكر الغربان في قصة قابيل. عندما قتل هابيل، لم يعرف كيفية دفنه، فأرسل الله غراباً ليعلمه كيف يدفن الجثة. وصورته الرمزية في الثقافة الشعبية العربية هي صورة الطائر الذي يرمز إلى الموت والأحداث الحزينة.

في بعض المناطق الريفية ، يقال إن رؤية غراب يجثم حول منطقة معينة قد تكون إشارة إلى وفاة شخص ما أو وجود كارثة في تلك المنطقة. كما يتم استخدام صوت الغراب في التقاليد الشعبية كإشارة إلى الموت أو الكارثة. وعادةً ما يُعزى ارتباط الغراب بالحظ السيئ في الثقافة العربية إلى مجموعة من المعتقدات الشائعة والأحلام والأساطير التي تساهم في السمعة السلبية للغراب. أدى لونه الداكن وصوته المميز إلى اعتباره رمزاً للموت والخوف في المخيلة العربية ، وقد أدى هذا الارتباط إلى زيادة السمعة العامة للغراب كطائر ينذر بسوء الحظ والمأساة.

. خاتمة:

العلاقة بين الظلام والخوف منه ، بالإضافة إلى الرموز المجازية المرتبطة باللون الأسود ، تعكس مجموعة من المعاني والتصورات التي تطورت عبر التاريخ الطويل للإنسانية وفي ثقافات متنوعة. في العديد من المجتمعات ، ارتبط اللون الأسود بالغموض ، الشر ، والظلام ، وأصبح يُستخدم للإشارة إلى جوانب الحياة التي لا يمكن السيطرة عليها أو التي تخفي أسراراً خطيرة. يُعزى الخوف من الظلام إلى فقدان القدرة على الرؤية الواضحة والتحكم في المحيط ، مما يُشعر الإنسان بالقلق والتوتر والخوف من المجهول. من هذه المخاوف الطبيعية ، ظهرت العديد من الاستعارات السلبية المرتبطة باللون الأسود ، حيث يُستخدم للتعبير عن الشر ، الحزن العميق أو النهايات المؤلمة والمأساوية.

تلعب الأيديولوجيات الاجتماعية والدينية دوراً رئيسياً في تشكيل تصوراتنا عن اللون الأسود. في بعض الأحيان ، يُنظر إلى الأسود من خلال نظرة سلبية ناتجة عن المفاهيم الثقافية والدينية المتأصلة. على سبيل المثال ، قد يرتبط الأشخاص ذوو البشرة الداكنة أو الذين يرتدون الملابس السوداء بالسّمات السلبية في بعض الثقافات نتيجة للتأثيرات العنصرية أو الموروثات الثقافية القديمة التي جعلت اللون الأسود رمزاً لها هو غير مقبول أو مريب.

من الضروري أن نفهم أن الألوان ، بما في ذلك اللون الأسود ، تحمل دلالات متعددة ومعاني متنوعة يمكن أن تتغير وفقاً للسياقات الثقافية والزمانية المختلفة. لذلك ، من المهم أن نتعامل مع هذه المعتقدات بعناية وفهم ، مع إدراك التنوع الثقافي والتاريخي الذي قد يؤثر

على تفسير الرموز ، والعمل على تجنب التحيزات والافتراضات المسبقة التي قد تؤدي إلى سوء فهم دلالات هذه الرموز.
الهوامش

¹ _ Look: sonja.k.foss, Framing the Study of Visual Rhetoric: Toward Transformation of Rhetorical Theory, Routledge, university of Colorado at denver, 2012, p 303-313

² _Look: Kress, G., & van Leeuwen, T, Reading images: The grammar of visual design , London: Routledge. P45_113

³ _Look: Kress, G., & van Leeuwen, T, Reading images: The grammar of visual design Routledge, Second edition published, New York, 2006. p177

⁴ _ look: Lakoff, George & Mark Turner ,More than Cool Reason(A Field Guide to Poetic Metaphor ,University of Chicago Press , u .s , 1989 , p 18

⁵ _ look:Goatly . A, The language of metaphors, first published, Routledge, London, 1997

⁶ _ جورج لايكوف ، ومارك جونسون ، الاستعارات التي نحيا بها ، تر: عبد الحميد جحفة ، دار توقيال ، الطبعة الثانية ، المغرب ، 2009 ، ص139.

⁷ _Look: Morris, R. Visual rhetoric in political cartoons: A structuralist approach. Metaphor and Symbolic Activity , Routledge, New York University, On: 28 January 2015, At: 17:50,p201

⁸ _look: Forceville .C ,Non-verbal and multimodal metaphor in a cognitivist framework: Agendas for research, University of Amsterdam, 2009, p12.

⁹ _ Look:Forceville, CPictorial metaphor in advertising, Routledge, London, 1996.

¹⁰ _ ينظر ، عبد اللطيف أحمد علي ، محمد صقر خفاجة ، أساطير اليونان ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 2001 ، ص47.

¹¹ _ ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسون ، الفلسفة في الجسد _الذهن المتجسد وتحديه للذهن الغربي _، تر: عبد الحميد جحفة ، دار الكتاب الجديد ، الطبعة الأولى ، ليبيا ، 2016 ، ص38.

¹² __ ابن كثير ، مختصر التفسير ، اختصار الصابوني ، المجلد الثالث ، سورة الفلق-https://numeric-quran.com/hadeeth_books_hadeeth.php?TitleID=16822&BookNo=201&Vol=3&Ktb=

86

¹³ __Look GRADY Joseph. , Foundations of meaning: primary metaphors and primary scenes, Berkely, University of California Press, US ,1997 p331

¹⁴ __ شهاب الدين محمد بن عبد الله الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تح علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، ج 3 ، 1415 هـ ، ص 286.

¹⁵ __ محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي ، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1984 ، ج 6 ، ص 143.